بلا تفريق ، وبقيت كتاباتهم يدرسها طلاب الأدب كما يدرسها باحثو التاريخ

بل بلغ غرام بعض الأدباء بالماضى ، وشغفهم بتقاليده وأزيائه ومحبتهم لأفذاده وعظمائه حداً بعيداً ، وقد كان سكوت من ذلك الضرب الذى يحيا فى الماضى وبجلائله ولآلائه وبطولته ، ولا يكاد يلتفت إلى الحاضر أو يعنى بالمستقبل ، وفى ذلك العالم السالف كتب سكوت أحسن قصصه . وممن كتب فى الروايات والقصص التاريخية أيضا تيسون وبرونتج ودرنكورتروشو ، وقد نرى موضوعاً تاريخياً حديثاً كالثورة الفرنسية ، وقد تناوله المؤلفون الانجليز من شتى النواحى ، فحلل لحوادث الثورة وشخصياتها ككارليل ، ومندد بمبادئها كبرك ، ومرحب بتلك المبادىء مترنم بها كوردزورث ، ومتخذ من قصة وليد تلك الثورة نابليون موضوعا لملحمة طويلة كهاردى ، وهكذا تحيا حوادث التاريخ فى أذهان مطالعى الأدب مصورة من شتى النواحى

ولا شك أن هذا التاريخ الأدبى ، إذا سميناه كذلك ، أجدر بالقراءة وأحق باهتمام المثقف من التاريخ المجرد ، إذ فى آثار الأدباء تحيا حقائق التاريخ وتدب فيها روح انسانية جديدة وتمتلىء بالإمتاع ، ويعود التاريخ والأدب وكلاهما مظهر لحياة الانسان المطردة التطور والتغير ، وتفكيره الدائب الحركة والتقلب ، وفى هذا التاريخ الأدبى يرتبط الحاضر بالماضى ، والقريب من الأمم بالبعيد ، وتتقاصر مسافات الزمان والمكان ، ولا يبقى إلا الانسانية الشاملة ، وهذه الانسانية هى مجال كل فن صميم

هذا التاريخ الأدبى لم يعرف فى العربية ، فكان هناك المؤرخون وكان هناك الأدباء ، ولكن كلا منهما كان مستقلا عن الآخر استقلالا كبيراً ، ولم يكن الادباء يعدون التاريخ مجالا من مجالات أدبهم ، أو مطمحا من مطامح فنهم ، يبتكرون فى مجاله وينشئون ، وما ذاك إلا لانشغالهم بالقريب الحاضر من شؤون العيش ، عن البعيد المتراءى من أمور الحياة وآفاق الفكر ، لأن الأدب ظل أكثره بلاطياً يمدح الأمير ويحرر رسائله ، وكان الفوز بتلك الحظوة مطمح الأديب ووسيلته الكبرى إلى الظهور فاذا ما بلغ ذلك المكان لازم ذلك الضرب الوحيد من القول ، ولم يصرف أدبه إلى التأمل فى شؤون الماضى والمستقبل ، وهكذا أغفل الأدب العربى التاريخ فيما أغفل من موضوعات هى صميم الفن ، لوثيق صلتها بالانسانية

فتحى ابو السعود

ضوء جديد على الدين الدرزى

الحياة والمعيشة الدرزية

للأستاذ محمد خالد ظاظا

يقول الأستاذ (عنان) إن كافة الرواة أجمعوا على أن الحاكم ذهب (ضحية المؤامرة والجريمة المدبرة) مع أن أنصار الحاكم ومؤيدى مذهبه يدعون أن الحاكم ارتفع إلى السماء امتحاناً للمؤمنين ولم يقتل أبداً ؛ وعن قريب سيعود من البلاد الصينية ومعه الجيوش الجرارة فيفتح هذه البلاد جميعها ويعيد الحالة إلى ما كانت عليه ؛ وسوف لا يبقى إلا الديانة الدرزية الحقة . لأنه بحكم الواقع تلغى جميع الأديان عند قدومه . وهؤلاء المؤمنون نزحوا من البلاد المصرية وقطنوا البلاد الشامية فى الجبال الشرقية منها ، وأسسوا مدناً وقرى اشتهر منها السويداء ومجدل شمس وبعقلين . وقد كانت لهم هذه الجبال معاقل تصد عنهم غارة الأمم الفاتحة حتى أصبح يخشى بأسهم وشدتهم ، ولم يختلطوا مع الأقوام السورية ، بل تجنبوهم حتى أنهم لبثوا ليومنا هذا محافظين على تقاليدهم وعاداتهم برغم تطور الزمان وانقلاب السلطان ، وبقيت هذه الديانة سراً مدفوناً إلى حين نشوب الثورة السورية فى عام سنة ١٩٢٦ فأذاعت من أسرارهم وديانتهم ما خفى طيلة هذه الأعوام الماضية . فالدروز ثاروا ودافعوا عن بلادهم وساهموا بقسط وافر من الوطنية ، واضطروا بحكم الشدة أن يتركوا بلادهم تفعل بها نيران القنابل والمدافع فعلها ، فلعبت الأيدى بكتبهم المقدسة وتراثهم المدفون وانتقلت هذه الكتب إلى أيدى الكثيرين .

وقد أكدلى أحد رجال الدروز العقل أن كتابهم المقدس الذى يسيرون بموجبه ويتبعون أثره هو خلاصة عدة كتب مقدسة ، أو بالأحرى خلاصة جميع الكتب الدينية ويزاد عليه بعض الحكم والنصائح . ويندر وجود هذا الكتاب عند كل درزى لأنه ينسخ ويخبأ عند رئيس الدين الأكبر

ولا يقرأ به إلا فى الخلوة - أى الجامع . وكيفية قراءته أن الشيخ يجلس فى صدر المكان ويلتف حوله السامعون بشكل حلقة مكتفى الأيدى ، مطأطئى الرءوس والأبصار ، خاشعي البصائر ، يسمعون مايقوله ، ويفعلون مايأمرهم به . ولا يدخل فى هـذه الخلوة إلا من استكملت به درجة الرجولة التامة ، وبلغ مبلغ الرجال العقل ، وهم بحسب ديانتهم ينقسمون إلى درجات ثلاث :

الدرجة الأولى : الجهال وهؤلاء لا دين لهم ولا يعلمون شيئاً من أمور الديانة الدرزية ، وهم على الأغلب دون الثلاثين

الدرجة الثانية : العقل ولا يصل الرجل منهم إلى هـذه المرتبة إلا بعد أن يبرهن أمام القوم أنه أخلد للسكينة وترفع عن الأفعال الدنيئة . وعليه قبل أن يصبح عاقلا أن يحلق رأسه بالموسى ويترك لحيته تسترسل فى نموها نحو الصدر وكلما طالت كان أجره عظيما ، وثوابه جزيلا . وعليه أن يتعمم بالعمة البيضاء الكبيرة .

الدرجة الثالثة : الأجاويد ، وهـذه الطبقة هم الأكثر تقشفاً والأعظم أجراً ، وهم رؤساء الديانة الدرزية ومشايخ المؤمنين الموحدين وبيدهم الأمر والنهى ، فإذا ما وجدوا أمراً ساءهم من أحد العقل طردوه من الخلوة وأخذوا الدين منه . وبذلك يصبح المطرود لا دين له ، فلا يحق لهم الجلوس معه ولا السلام عليه ولا الأكل والشرب قربه ، يفر منه كل من يراه ، حتى أن عائلته تنفر منه وتكرهه ؛ وإذا مات فى هـذه الأثناء يموت مسلماً وتنتقل روحه إلى كلب أو نصرانى أو يهودى أو أى حيوان آخر . وأما إذا مات درزياً ومعه الدين فينال الحسنات وتنتقل روحه إلى درزى آخر أو تذهب إلى بلاد الصين ، وهناك تعيش قرب الحاكم بأمره والأخوان الصالحين . ويعتقد الدروز بالتقمص ويقولون إن الروح تنتقل من رجل إلى آخر كما أسلفنا .

والمرأة الدرزية حكمها فى الدين حكم الرجل ، ولها ثلاث درجات بخلاف مذهب النصيرية الذين لا يعطون للمرأة ديناً مطلقاً ، والدين عندهم من خصائص الرجال دون النساء .

والدروز لا صلاة ولا صوم مفروض عليهم ، ولا يعرفون شيئاً من أنواع الطرب لأنها معدودة عندهم من المنكرات المحرمة فى الدين . وأقسامهم المغلظة هى : بالنبى شعيب واليعفورى ، والحدود الستة ، والحكمة المقدسة .

وللنبى شعيب احترام عظيم فى نفوسهم ولا يعتقدون إلا بنبوته دون كافة الأنبياء . وأما اليعفورى فهو أحد أوليائهم الصالحين ذوى الكرامات له مقام يقع بين قرية مسعدة وقرية بجدل شمى فى القسم الجنوبى من سورية ، ويقصده الدروز من أماكن بعيدة للتبرك به والدعاء له . ولعل أغرب ما فى مذهبهم أنهم لا يتزوجون من المسلمين ولا يزوجون بناتهم منهم بحجة أنه يسمح للمسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية ، أو يحق لمن يدخل فى الدين الاسلامى أن يتزوج مسلمة مهما كان شأنها ، ولا يقبلون أحداً أن يدخل فى دينهم مهما كان شأنه ، ولا يسمحون لأحد منهم أن يترك دينه ويدخل فى دين آخر وإن فعل ذلك عرض نفسه للقتل المحتم . وإذا خطفت فتاة منهم يتحرون عنها حتى يجدوها فيقتلون الخاطف والمخطوفة خوف إفشاء السر - هـذا إذا علموا مكانهما .

والدروز ذو أجسام كبيرة وقامات طويلة ووجوه دموية يغلب عليهم الشجاعة ، يسترون رؤوسهم بالعمائم الكبيرة البيضاء ويحتذون الزربول ويلبسون السروال والصدرية والعباءة ذات الأكمام القصيرة ، ديانتهم عندهم إلى التقشف فى كل شىء فى الحياة رغبة فى نوال الآخرة والجنة المعهودة .

وتحرم عليهم تعاطى المسكرات والملذات وشرب الدخان ومن فعل ذلك منهم يطرد كما أوضحنا سابقاً . وأما النساء فيتلثمن بالشاشة البيضاء ولا يظهرن من وجوههن إلا عيونهن ويرتدين الثياب الطويلة حتى الارجل ، والشرف هو الواجب الأول عندهن - وهن على العموم يتمسكن بأهداب الفضيلة وترك الرزيلة ...

محمد عارف ظاظا